Arabian Gulf Journal of Humanities and Social Studies

ISSN: 3080-4086

الإصدار السادس - العدد السابع عشر || تاريخ الإصدار 2026-08-20

التداخل النوعي لما بعد الحداثة
قراءة في رواية الخبز الحافي لمحمد شكري

The qualitative openness of postmodernism
A reading of the novel Bare Bread by Muhammad Shukri

م.د. رشا عبد الحمزة جياد الحسناوي

Rasha Abdulhamza Jiyad Al-Hasnawi

مديرية تربية القادسية

DOI: https://doi.org/10.64355/agjhss61745

مجلة خليج العرب للدراسات الإنسانية والاجتماعية || هذه المقالة مفتوحة المصدر موزعة بموجب شروط وأحكام ترخيص مؤسسة المشاع الإبداعي(CC BY-NC-SA)

الملخص:

إن رواية الخبز الحافي تندرج ضمن أدب السيرة الذاتية ذلك لأن شخصية محمد شكري سارداً ومتكلماً بضمير الأنا قد هيمنت على فضاء السرد واشتملت على سائر الأحداث والوقائع من الخلال العلاقات التي تربطه بالأحداث والشخصيات وحاولت هذه الشخصية المركزية أن تسلط الضوء على محطات سيرية ذاتية موصولة بمشاهد الطفولة وما صاحبها من فقر وحرمان وقسوة .

الكلمات المفتاحية: التداخل النوعي، ما بعد الحداثة، السيرة الذاتية، المذكرات، السرد الروائي.

Abstract:

The novel “Bare Bread” falls within the autobiographical literature because the character of Muhammad Shukri, a narrator and speaker with the “I” pronoun, dominated the narrative space and included all other events and facts through the relationships that link him to the events and characters. This central character tried to shed light on autobiographical stations connected to childhood scenes and whatnot. Its owner is poverty, deprivation and cruelty**.**

Keywords: Generic Intertextuality, Postmodernism, Autobiography, Memoirs, Narrative Fiction.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد

يعد التداخل النوعي سمةً بارزة من سمات ما بعد الحداثة، ألقت هذه السمة بظلالها على السرد الروائي وجردته من فكرة نقاء النوع وجعلته سرداً منفتحاً على غيره من الخطابات الإبداعية وغير الابداعية لذا اصبحت الرواية ما بعد الحداثية ذات خصوصية وفرادة وحساسية جديدة في كتابتها وطريقة تلقيها .

لقد دفعنا هذا التداخل النوعي إلى قراءته في رواية الخبز الحافي لمحمد شكري محاولين رصد المناطق الابداعية التي انفتحت عليها الرواية وأهمية تلك المناطق بالنسبة للفضاء الروائي عامة وبعد مراجعة الرواية وما قيل عنها اتضح لنا محوران مركزيان انفتحت عليهما الرواية مثلت المذكرات المحور الاول في حين مثل الشعر والغناء المحور الثاني، لذا جاءت دراستنا موزعة على هاذين المحورين وقد سبقهما تمهيد عن مفهوم النوعي وعلاقته بما بعد الحداثة رؤية تنظيرية وختمت هذه الدراسة بأهم النتائج التي توصلت إليها .

وفي الختام أشكر أستاذتي الدكتورة رواء نعاس على اختيارها هذا الموضوع، واقدم عظيم امتناني لملاحظاتها القيمة وما جادت عليّ به من توضيح وتفسير ولم تدخر جهداً الا لتصويب ما نقع فيه أسأل الله أن يوفقها ويرعاها ويجعلها تحت لطفه ورعايته. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التمهيد: مفهوم الانفتاح النوعي

يعد انفتاح الأنواع الأدبية وتداخلها فيما بينها سمةً بارزة في التوجهات ما بعد الحداثية لان لم الأخيرة **((الحدود الفاصلة بين المجالات المختلفة للمعرفة، وتداخلت العلوم مع سائر فروع المعرفة الأخرى مما ترتب عليه ظهور علوم بينية جديدة ألغت التمايز بين مجالات العلوم والآداب والثقافة بحيث أصبحت السمة الأساسية لمجتمع ما بعد الحداثة هي التحول من التمايز إلى اللاتمايز))**[1] وأصبح القارئ أمام **((اختلاط كثيف بين الأنماط والأشكال والنماذج ضمن أطر كثيرة جداً))**[2]، **وعلى حد قول أماني أبو رحمة ((أن أهم ما يجعل هذا الفن جديداً هو رفضه للتمايز الواضح المفترض بين الأجناس الأدبية))**[3] لذا وجنا النصوص الإبداعية منفتحة على بعضها في تواشج ما بعد حداثي خلاق

هذا التداخل النوعي للنصوص جعل **((النص في مرحلة ما بعد الحداثة حين يُقارن بمرحلة الحداثة السابقة [يوصف]على النحو الآتي : شكل منقطع ومفتوح (لا شكل)/ مقابل شكل حداثي متصل ومقفل، ولعب / مقابل قصد حداثي، ومصادفة / مقابل تصميم، وفوضى/ مقابل تراتبية الحداثة، واشتراك / مقابل مسافة الحداثة، وتفكيك / مقابل شمولية الحداثة))**[4] أي أن النص اصبح يمتلك فرادة في الرؤية والتشكيل.

يتمثل التداخل النوعي الأبرز الذي نسلط الضوء عليه في هذا البحث بانفتاح الرواية على السيرة الذاتية بالشكل الذي يكشف عن الوعي الذاتي وأثر السيرة في تشكيله، لقد نعت الناقد الدكتور عبد الله إبراهيم هذا الانفتاح على السيرة الذاتية بالتهجين السردي**((ولا يقصد بالتهجين معنى سلبياً، إنما المقصود به التركيب الذي يستمد عناصره من مرجعيات معروفة، وإعادة صوغها على وفق قواعد مغايرة))**[5]، هذه المغايرة تضع حدا. للسيرة الروائية على أنها **((نوع من السرد الذي يتقابل فيه الراوي بالروائي، ويندرجان معاً في تداخل مستمر ولا نهائي، يكون الروائي مصدراً لتخيلات الراوي، فالكيان الجسدي والنفسي والذهني للروائي يُشرّح في السيرة الروائية، ويعاد تركيبه))**[6]، ويرى الناقد أن هذا التهجين بين النوعين يوفر **((حرية غير محدودة في تقليب التجربة الشخصية للروائي، وإعادة صوغ الوقائع واحتمالاتها، وكل وجوهها، دون خوف من الوصف المحايد والبارد للتجربة، ولا الانقطاع التخيلي عنها))**[7]

لم يكن التهجين السردي محض تداخل بين نوعين أدبيين بل هو نوع من التفاعل الخلاق الذي انتج نوعاً أدبياً آخر فـ**((استمرت أساليب السرد التي إشاعتها الرواية، ولكن الرواية قد استثمرت بدرجة واضحة السرد المباشر الذي يعتمد على ضمير المتكلم، وهو أسلوب ظهرت بذوره في المذكرات، وسرعان ما دفعت به الرواية إلى مركز الاهتمام، وأصبح جاهزاً لأن يُعاد استخدامه وبتنوّع شديد الثراء في السيرة))**[8]، ولم يقتصر الأمر على هذا **((فالرواية والسيرة ربطهما جامع مشترك آخر، وهو أن فصيلة كاملة من الروايات قد حذت حذو السيرة في أن أحداثها تتمركز حول شخصية، والاختلاف فيما إذا كانت الشخصية حقيقية أو خيالية))**[9]. أن **((الذات الفردية في السيرة الروائية تظهر بوصفها المرجعية**

---

[1] نيتشه وما بعد الحداثة إشكالية قراءة التراث(بحث) عطيات أبو السعود، مجلة فصول عدد 63 شتاء وربيع 2004م، 49
[2] ما بعد الحداثة دراسات في التحولات الاجتماعية والثقافية في الغرب، 54.
[3] من الحداثة إلى ما بعد الحداثة، 84.
[4] حالة ما بعد الحداثة - بحث في أصول التغيير الثقافي : ص 65 - 66
[5] موسوعة السرد العربي،411/2.
[6] موسوعة السرد العربي،411/2.
[7] موسوعة السرد العربي،411/2.
[8] موسوعة السرد العربي،412/2.
[9] موسوعة السرد العربي،412/2.

الأساسية لمادة النص،))[10]، وأن التصريح بالاسم خاضع لعلاقة المؤلف بالنص والمحيط الخارجي[11] وأن هذا النوع من السرد يكرس الاحتفاء بالجسد[12].

نحاول في هذا البحث تلمس التداخل النوعي لرواية الخبز الحافي على المكونات السيرية بالشكل الذي جعل الرواية تفصح عن وعي الذات بنفسها وعلاقتها بالمحيط وذلك من خلال رصد مواضع الذاتي داخل الرواية وموضع التاريخي الكاشف عن علاقة الذات بالمحيط الاجتماعي داخل الرواية.

يعد التداخل النوعي مكونا من مكونات الكتابة السردية الجديدة، باعتبار الانفتاح الذي ميز النص الجديد، إذ غدا قابلا لكل الأنواع الكتابية الأخرى نظرا للاستيعاب الذي تدعو إليه رواية الحساسية الجديدة، **((وهذا ما يضفي على الكتابة ضروبا من التمازج والتداخل بين العناصر النوعية المتمايزة))**[13] وبهذا **((تشكل نموذجا حيا للكتابة المركبة والمنفتحة على آفاق التنويع والتعدد فهي فسيفساء من القوالب والنصوص والزخارف الفنية المتداخلة والمتحاورة))**[14] بهذا التنويع الخلاق يشكل محمد شكري رواية الخبز الحافي وفق استراتيجية تجريبية، عمدت فيها إلى الاحتفاء بالتداخل النوعي التي استوعبت أشكالا كتابية متعددة نذكر منها:

اولاً : المذكرات واستحضار الماضي

تنهض رواية الخبز الحافي لمحمد شكري على أدب المذكرات، وتحاول في جنبة كبرى منها أن تسلط الضوء على التاريخ المغربي وتكشف عن أثر الاستعمار في الانسان المغربي لذا جاءت كاشفة عن الوعي بالذات وما قاسته في ظل الحياة الاستعمارية؛ وجاء مدخل الرواية كاشفاً عن الفقر والحرمان **((أبكي موت خالي والاطفال من حولي يبكي بعضهم معي لم ابك فقط عندما يضربني أحد أو حين افقد شيئا أرى الناس أيضا يبكون المجاعة في الريف القحط والجوع))1**[15]

لقد حرص السارد على تكثيف صورة البحث عن الطعام **((ذات مساء لم أستطع أن أكف عن البكاء الجوع يؤلمني أمص وأمص أصابعي أتقيا، ولا يخرج من فمي غير خيوط اللعاب، أمي تقول لي بين لحظة وأخرى أسكت. سنهاجر إلى طنجة الناس هناك يأكلون حتى يشبعوا))**[16] بمعنى أن عائلة شكري يعانون من الفقر.

هذا الفقر والحرمان دفع الراوي الى الهجرة الى طنجة **((في طنجة أر الخبز الكثير الذي وعدتني به أمي، الجوع أيضا في هذه الجنة . لكنه لم يكن جوعا قاتلا))**[17] لذا شرع بالبحث عن القوت في مكب النفايات ومثله كثير من أبناء طنجة **((وجدت طفلا يقتات من المزابل مثلي في رأسه وأطرافه بثور حاف القدمين وثيابه مثقوبة، قال لي: مزابل المدينة أحسن من مزابل حينا زبل النصارى أحسن من زبل "المسلمين"))**[18]

لم تقتصر المذكرات على رصد الفقر وشظف العيش بل تطورت وراح السارد يدخل القارئ في فضاء ذاكراتي موصول بالعائلة والقسوة التي يحملها الأب اتجاه الام والابن **((يضرب أمي بدون سبب أعرفه سمعته مرار يقول لها .... سأهجرك يا أبنة ...))**[19]

---

(10) موسوعة السرد العربي،443/2.
(11) ينظر، موسوعة السرد العربي،443/2.
(12) ينظر، موسوعة السرد العربي،444/2.
13 استراتيجيات التجريب في الرواية المغربية المعاصرة، محمد أمنصور، شركة النشر والتوزيع المدارس، الطبعة الأولى 2006، ص136
14 نفسه، 145.
15 الخبز الحافي ،9.
16 نفسه،5.
17 نفسه،10.
18 نفسه،11.
19 نفسه،15.

يصفه بالوحش لأنه لا يستطيع فعل شيء إلا بإذنه **((ويفعل ما يشاء حتى أنه قتل أخ محمد في غضب : أخي يبكي يتلوى ألما[....] الوحش يمشي إليه، الجنون في عينه [....] يلوى اللعين عنقه بعنف أخي[...] يتلوى[....]الدم يتدفق من فمه[...]مصابيح الله شاهدة على جريمة أبي[20]))** بعد هذا دخل والده السجن وهذا ما حتم على الأم بالبحث عن عمل، بالرغم من الظروف القاسية التي تعيشها البلاد، ولكن لا وجود لأي عمل **((تذهب أمه إلى المدينة باحثة عن عمل، تعود خائبة مثلما كان أبي يعود في الأيام الأولى من وصولنا إلى طنجة، تقضم أظافرها تنتحب، يكتب لها المشعوذون تمائم لعل أبي يخرج من السجن وتجد هي عملا، تصلي كثيراً تشعل الشموع في أضرحة أولياء الله وتستطيع خط مستقبلنا عند الشوافات))**[21].

عندما وصلوا إلى "تطوان" عثروا على بيت يأويهم ولكنه ليس أحسن من سكنهم في **((عين قطيوط عثرنا في حي عين خباز على مسكن في جوار بستان حجرة واحدة ومرحاض خارج الحجرة))**[22]

محمد لم يعد طفلا، أصبح شابا يتكل عليه: **((عثر لي أبي على عمل في مقهى شعبي في نفس الحي))**[23] ولكن هذا الأب القاسي كان يعيش عالة عليه وعلى أمه فقد كان يستغلهما لأن أجرة محمد من عمله من نصيب والده: **((كل شهر يجيء أبي عند صاحب المقهى [...]يعطيه ثلاثين بسيطة من عملي[...]في اليوم الذي يقبض أجرتي يغيب يوما أو يومين، أحيانا يعود ثملا [...] إنه يستغلنا أنا وأمي[24]))**

في عمره هذا لم يكن ينام في مكان واحد فقط بل نام في المقهى**"((أحيانا أنام في المقهى فوق المقاعد))**[25]وينام في المخبزة: **((أحيانا أنام في المخبزة الاسبانية المجاورة للمقهى))**[26] . تحدث محمد عن مشاهدته لكثير من الآباء وعطفهم على أولادهم على عكس والده فيقول عن صاحب المقهى: **((كثيرا ما رأيته يقبل أولاده وهم يلعبون ويكلم زوجته بهدوء ومرح، أبي يصفع ويصرح مثل الحيوان))**[27]

يترك عمله في المقهى ويجد عملا آخر ولكن هذه المرة أجره يقبضه بيده **((انتقلت إلى عمل آخر في معمل الفخار [...]هذه المرة كنت أنا أقبض أجرتي، أعطي نصفها إلى أبي مقابل، الأكل وغسل ثيابي والنوم في المنزل))**[28]كان يطوف في المقاهي والحانات ليجمع بقايا الطعام من على الطاولات " بقايا الطعام في الصحون الصغيرة.

من خلال هذه المذكرات التي هيمنت على الفضاء الروائي نستطيع ان نقول أن محمد شكري عانى في صغره من الفقر والجوع والحرمان وشظف العيش، مثلما عانى من القسوة والاضطهاد العالي فلجأ إلى المذكرات بوصفها استراتيجية تبيحها سرديات ما بعد الحداثة فتنفتح الرواية عليها لتكرس خصوصية الشخصية الرواية، وتمنح الرواية بعداً سيرياً.

[20] نفسه، 12.
[21] نفسه،15.
[22] نفسه،29.
[23] نفسه،29.
[24] نفسه،30.
[25] نفسه،31.
[26] نفسه،31
[27] نفسه،32.
[28] نفسه، 39.

ثانياً: الانفتاح على الغناء والشعر

تحفل رواية الخبز الحافي لمحمد شكري التداخل النوعي على الاجناس الأدبية المحايثة للفن الروائي وهذا ما يميز سرديات ما بعد الحداثة التي قوضت التمايز بين الفنون والآداب وحاولت ان تصهر الاشكال الأدبية والانواع في بوتقة واحدة وهذا ما يظهر جلياً في المشهد الذي يذهب به السارد(محمد شكري) مع صديقه التفريستي إلى بستان لقضاء سهرة **((اقتربنا من المكان سمعنا موالاً وتوقيعات على المندولينا:**

قال: لقد بدأوا

توقفنا أمام باب من الخشب. دفعه فتراءات لنا أضواء فوانيس سمعنا صوتاً:

-من هناك؟

-رد عليه التفرسيتي :

-أخو التفريستي.

صوت جميل لشاب يمول:

يا ليل طل أو لا تطل لا بدّ لي أن أسهرك

لو بات عندي قمري ما بتُّ أرعى قـــــــمرك))[29]

يكشف هذا الانفتاح على الأنواع الأدبية لاسيما الغناء/ الموال عن هوية الرواية ما بعد الحداثة إذ تميزت الأخيرة في قدرتها على اختراق الاجناس الأدبية وتذويب الفواصل بين حدودها ومحاولة توظيفها في عوالمها لتعكس سمة ما بعد الحداثة والحساسية الجديدة التي صارت عليها الرواية.

لقد مثل الشعر نوعاً من التداخل النوعي داخل رواية " الخبز الحافي" منح الفضاء الروائي هوية ما بعد حداثية من ذلك المشهد الذي رسمه السارد داخل السجن **((أخرج حميد قلم رصاص صغير واخذ يكتب على الحائط. سألته:**

- **ماذا تكتب ؟**
- **اكتب بيتين للشاعر التونسي أبي القاسم الشابي.**
- **ماذا يقول هذا الشاعر؟**
- **هذا ما يقوله:**

إذا الشعب يوماً اراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر

ولا بد لليل أن ينجلي ولابد للقيد أن ينكسر))[30].

يعلق السارد على هذه الأبيات

[29] نفسه،85

[30] الخبز الحافي، 190-191.

قلت له بإعجاب:

- **عظيم**
- **هل تفهم ما يقول؟**
- **كلا، لكنه عظيم أحس أنه عظيم (أضفت) ما معنى الذي يقوله؟**
- **ارادة الحياة، هذا هو معنى ما يقوله.**
- **وما معنى ارادة الحياة**
- **ارادة الحياة معناها هو أنه إذا كان هناك شعب مستعبد أو انسان ما واراد أن يتحرر فأن الله يستجيب له والفجر يستجيب القيد يتهرس بقوة إرادة الانسان))**[31].

لم يكن التداخل النوعي هنا مع الشعر فحسب بل تعداه إلى نقده فوجدنا الحوار بين السارد وحميد الذي اخرج القلم وكتب على الجدار بيتين من الشعر يتجه صوب تفسر الشعر وبيان معناه بشكل موجز ومكثف وهذا ما يجعل الرواية تستجيب للانفتاح على الاجناس الأدبية.

الخاتمة

إن رواية الخبز الحافي تندرج ضمن أدب السيرة الذاتية ذلك لأن شخصية محمد شكري سارداً ومتكلماً بضمير الأنا قد هيمنت على فضاء السرد واشتملت على سائر الأحداث والوقائع من الخلال العلاقات التي تربطه بالأحداث والشخصيات وحاولت هذه الشخصية المركزية أن تسلط الضوء على محطات سيرية ذاتية موصولة بمشاهد الطفولة وما صاحبها من فقر وحرمان وقسوة .

لقد انفتحت رواية الخبز الحافي على الأنواع الأدبية الأخرى لاسيما الغناء والشعر وهي بهذا الانفتاح منحت السرد حساسية جديدةً وانتماءً الى سرديات ما بعد الحداثة التي قوضت الحدود الفاصلة بين الأجناس الأدبية وسعت الى بلورة خطاب فني شمولي يصهر مواثيق الفنون ليخرج بميثاق قرائي جديد ينسجم مع الوعي الذي شكلته ما بعد الحداثة وغيرت من خلاله رؤيا الانسان إلى العالم والأشياء.

المصادر

أمنصور، محمد .(2006) .*استراتيجيات التجريب في الرواية المغربية المعاصرة* (ط. 1). شركة النشر والتوزيع المدارس.

هارفي، ديفيد .(2005) .*حالة ما بعد الحداثة: بحث في أصول التغيير الثقافي* .المنظمة العربية للترجمة.

شكري، محمد .(2000) .*الخبز الحافي* (ط. 6). دار الساقي.

[31] الخبز الحافي، 191.

حسن، حارث محمد، وخريسان، باسم علي (مترجمان) .(2018) .*ما بعد الحداثة: دراسات في التحولات الاجتماعية والثقافية في الغرب (نصوص مختارة)* (علي عبود المحمداوي، تقديم؛ ط. 1). دار ابن النديم للنشر والتوزيع.

البهنسي، عفيف .(2012) .*من الحداثة إلى ما بعد الحداثة في الفن* .دار الكتاب العربي.

إبراهيم، عبد الله .(2016) .*موسوعة السرد العربي* (ط. 1). مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم.

أبو السعود، عطيات. (2004). نيتشه وما بعد الحداثة: إشكالية قراءة التراث .*مجلة فصول*، (63)، شتاء وربيع 2004.